الأبعاد المتعدّدة لأشعار محي الدّين المولوي الكوتيادي

عبد الجليل. م[1]

الشّاعر محي الدين المولوي الكوتيادي من العباقرة الذين أنجبتهم ولايتنا كيرلا ولكن هذا العبقري لم ينل من الإعتراف والتقدير ما يناسب شاعريته النّادرة، هذه محاولة يسيرة لسرد الأبعاد المتعدّدة لأشعاره، وبما أن هذه الدراسة هي مقدمة لدراسة أوسع ــ بإذن الله ــ فإنني سأكتفي برسم الإطار العام والملامح الأساسية المتعدّدة لأشعاره.

نبذة من حياة الشّأعر

وُلد الشاعر في قرية ناريباتا القريبة من وانيميل سنة 1921 م وبعد الدراسات الإبتدائية إلتحق بالدروس المساجدية وقد تعلم ثماني سنوات لدى الشيخ محمد بن أحمد الشيرزاي النحوي ومن أستاتذته كيزانا كونه عبد الله مسليار ومولانا الشاللكاتي وتركاندي عبد الرحمن مسليار والشيخ محمد المولوي وئي كى المولوي وأخوان أم سي سي ومحمد الطائي المولوي وكى سي عبد الله المولوي وغيرهم وقد درس في الكلية العالية بكاسركوت ودار العلوم بوازكاد ودار السلام بعمراباد وكان عاملا لرابطة المسلمين بكيرلا حتى 1949م واجتذب بعدها إلى فعاليات الجماعة الاسلامية التي يترأسها الحاجي محمد على وعمل حقبة من الزمن مدرّسا في المسجد الجامع بوانيميل ثم انخرط في سلك التدريس في كليّات مختلفة مثل الكلّية العالية بكاسركوت والكلّية الاسلامية بشاندابورام وكلّية الدّعوة بكاليكوت والكلّية الاسلاميّة بكوتيادي وكان قاضيا لعشرات من الأمكنة.

وقد عنى بقواعد اللغة العربية نحوا وبلاغة وعروضا وقافية بكل الإهتمام، وبالغ في قوانينها بكل تدقيق وتمحيص ولا ترد عليه قطعة أدبية إلا قام بتحليلها من الناحية البلاغية والنحوية وكان بارعا في شرح الأشعار العويصة، وكان التحليل الإعرابي جزءا لا يتجزأ من عملية تدريسه. وكان

---

[1]. باحث دكتوراه في قسم العربية بجامعة كاليكوت

موهوبا بذاكرة قوية وعكف على دراسة الشعر العربي القديم وكان في حفظه ديوان الحماسة والشوقيات وعددا هائلا من القصائد إضافة الى قطعات الأبيات المتناثرة، وقد تعجّب أقرانه بقاموسه الشّعري، ولذلك لم يجد بدّا في حلّ كلمة موحية في محلّها عند القرض.

وكان عضوا للجماعة الإسلامية الهندية ومتحمّسا بها، ولذا نجد لديه كثيرا من الأشعار التي تحرّض منتسبي الحركة للمواصلة بفعالياتها وأنشطتها، وقد اشتركت عناصر مختلفة في تكوين شخصيته الأدبية، أولا: شغفه باللّغة وثانيا: الدّم الحركي الاسلامي وثالثا: بيئته الإجتماعية، ويقول الشيخ سليم المولوي المنشيري "والذي نلاحظ لديه أدب الجدّية وليس للتسلي والملاهي وغالبية أشعاره ناتجة عن حبه للعربية وفكره الإسلامي ووعيه الرّوحي"[1] وكان يتكلّم دائما عن إتّحاد الأمّة وكان يرى أن التفرّق هو السّبب الجذري لتقهقر المسلمين وكابد الشاعر في حياته ضدّ المعارك الطّائفية والشّتائم الإذاعيّة التي تراق فيها دماء المسلمين بأيدي المسلمين. وكان يتناول أسباب التخلف الحضاري للأمة وعوامل النّهوض في كثير من أشعاره.[2]

وترجم المولوي ديوان 'يا أله' لـــ'كملا ثريا' إلى اللّغة العربية، وكتبت الشاعرة إلى المولوي لما كان بينه وبينها علاقة وطيدة حيث تقول "يا أخي البارّ، إسمح لي بأنني ألحّك بترجمة أشعاري إلى العربية ولا أودّ تناول أشعاري إلا الأعلام الأجلاء". وكان الشاعر يعارض الشّعر الحرّ الذي يعبّر عمّا في نفسه تعبيرا حرّا مستقيما لا تلزمه القوانين الشعرية، وكانت أشعار كملا ثريا في ديوان 'يا أله' أشعارا حرّة، ولا تخضع في أي حال لنقلها إلى الأشعار المقيّدة بالقوافي والعروض ولذلك اضطرّ الشّاعر لنقلها إلى الشعر الحر ولكن نشعر عند المراجعة بأن ترجمته كانت أوحى وأظهر من النصّ الأصلي في مليالم، وهذا يشير إلى تضلّعه في اللّغة، وقد تجوّل الشاعر في كثير من البلادان العربية ومنها السعودية وقطر والكويت والامارات والبحرين ولبنان وعمان ومصر وليبيا والمغرب والجزائر، و هذه الرّحلات وسّعت أفقه الفكري وزوّدت له بدراسات علمية جديدة، ولما رأى شجرة التّين أثناء زيارته

---

[1]. Prabhodhanam Weekly, Vol:16, April 2005

[2]. ومن أشعاره بهذا الصدد:

بكيت دمي وهل يجدي بكائي ... وقومي في البلادة والجمود

ويقول أيضا:

يا أمة مالها في يوم نكبتها ... لكي يعيشاك صدّيق ولا عمر

ويلاك ويلاك من ينجيك من خطر ... وقد تضعضعت الأنياب والظفر

لدولة المغرب تفجّرت سليقته الشّعرية، وقال أبياتا رائعة في التّين[1]، إذ يحسّ قارئ شعره في الأغلب بذلك التّدفق التّلقائي كأنّما هو فيض لا يضبطه بكثير من الصّقل والتّهذيب. وكانت له علاقة ودّية مع العلماء الذين لهم شهرة واسعة على الصعيد العالمي أمثال الشيخ ابن باز والدّكتور يوسف القرضاوي والأستاذ سيّد سابق والأستاذ محمد قطب والشّيخ إبراهيم عبد الله الأنصاري. وله أغاني ذات الرّنة الشّعرية تبلغ بلغتها ومستواها القلوب تتلقفته الألسنة وتذيع في النّاس شيوعا وسارت مسرى الأمثال، وكانت أغانيه وأناشيده على غرار الأغاني الحديثة في لغات مختلفة والأغاني الترحيبية للوفود والأغاني بمناسبة يوبيلات المؤسسات كثيرة في هذا القبيل، ومن أغانيه 'بدت الأشعة من حراء' 'ربي حلّ الهوان وحقّ الوعيد علينا' . هذا وصاحبنا قضى ثمانية عقودا في عمره ولكن لم يكن منزويا عن السّاحة الحركية والثّقافية في مرحلة هرمه بل ظلّ يواصلها بصورة أكثر حيويّة مما كان من قبل إلى أن وافاه الأجل المحتوم بتاريخ 2005/3/3 م

الأبعاد المتعدّدة لأشعاره

الدّراسة على أشعار محي الدّين المولوي لم تكن سهل المنال لما أنها متناثرة في طيّات دوريّات عربيّة مختلفة وبعضهاعند الأشخاص ولم يكن من عادته تقييد نتائجه الأدبية بالكتابة، ومن حسن الحظ استعطت مراجعة مائتين من أشعاره [2]، وبدأ حياته الشعرية بدار العلوم وازكاد التي كانت منتجع العلماء والأدباء آنذاك، وكان يقوم بالمراسلات الشعرية بزملائه أمثال الفلكي محمد المولوي ومن زملائه محي الدين الآلوائي وكي سي عبد الله المولوي وئي كى أبوبكر، واذا اشترك في حفلة الزواج كان يمدح العروس والعريس بشعره[3]، وقد طرق كثيرا من أبواب الشعر حتى الهجاء. والذي يذكر الشّاعر في باكورة شعره بيتين ألقاهما مرتجلا في دارالسّلام بعمراباد حيث دعي في حفلة الطلبة لإلقاء الشعر وكان لم يتهيأ لذلك:[4]

---

[1] مقابلة مع الشيخ / سليم المولوي المنشيري

[2] أشعاره موجودة في الكلية الاسلامية بكوتيادي تحت قيد الطبع ديوانا للشاعر

[3] وقد وجد ثلاثين قصائد من هذا القبيل مثلا تخاطب طالبة عند زواجها

شمس أنت مليحة عـــذراء قامت بنسج مديحك الشعراء

عشرك في يوم الزواج الى فتى ذي عزة أخلاقه قعســـاء

[4] الشعر العربي في كيرلا مبدؤه وتطوره للدكتور ويران محي الدين الفاروقي،صحفة 284 ، عربنت كاليكوت 2003

هذا مقام إذا قام الهمام به مخاطبا لقد ارتجّت فريسته
يقول في النفس يا ويلا ويا ندما فكيف هذا غلام قل همته

وثمة شيء لا يمكن إغفاله أنه يؤرخ لقصائده، وهذه حسنة ينبغي ألا يغفل عنها الشعراء، لأنها ذات فائدة عظيمة في تتبّع مسيرة الشّاعر نفسه وفي ملاحظة الظّواهر الشّعرية بصورة عامة. صبّ الشّاعر بواكبير أشعاره في القوالب القديمة والرواسم الجاهزة، وفي هذه المرحلة أنه لم يخرج على الدّيباجة الكلاسيكية في الأغلب وقد تأثّر من شعراء الأقدمين صورا وتركيبا، إذ تتناثر التعبيرات الشعرية المألوفة فيها، وبالتالي نضجت أفكاره على مرور الزمان وآتت أكلها كل حين بإذن ربها وظلّ الشاعر يراوح بين لغة التّراث ومستجدّات العصر وقد ساعد انخراط الشّاعر في الأحداث العامّة ورحلاته للبلدان ودوره الرّيادي للحركة الاسلاميّة على التجدّد النّسبي لقاموس شعره، وتزيد في هذه المرحلة التعبيرات المشتقة من ثقافة العصر. ولا نرى الاخطاء اللغوية وآثار العجمة في أشعاره لما أنه يرى أنّ إهمال قواعد اللّغة العربية جناية على اللّغة، وكان صاحب خيالات بارعة، هذا ويعبّر الشّاعرنفسه عن خياله:

أنا شاعر يأتي الخيال فأرتدي بردائـــه وأقول ما لا أفعل
فيسوء ظنّ البعض عنّي إذ أتى مني الخلاعة والكلام الأرذل

وله طريقة خاصة في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسّلاسة وكان بليغ الاستعارة ورائع التشبيه ومتخصّصا في أنواع البدئع، وهنا يظهرالشاعر بتشبيهه التمثيلي عندما أصاب الشاعر بوعكة شديدة حرمت القدرة على السفر للإشتراك في الفعاليّات الحركية فارتجل قائلا:

لحقت بمنزلها القوافل إنني في البيت ملتزم الـــفراش بئيس
طـــير يريد تنزّها في غابة ويلاه مقطوع الجـــناح يـــؤوس

ونرى أنه يطوّع نفسه للموضوعات المتنوعة سواء أكانت من مصادر تراثية أو من مصادر حديثة. وقد تدخل بشعره إلى القضايا الإجتماعية والسياسية حيث يقول في إغتيال إندراغاندي :

لـــهفان ولّـــــهان يا حالي كهيمان قد توفيت إندراغاندي بعدوان
إغتالـــــها اثنان من حرّاس مهجتها وهل من القدر حرّاس لإنسان
صرعى وهلكى وكم موتى بلاسبب قالوا الحياة هنا والموت سيّان

وكان في حظّ الشّاعر لقاء مع جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز أثناء إقامته في الملكة، ولما غادر الشّاعر المملكة وفوجئ بخبر إغتياله وتأسّف الشّاعر فتناثرت من لسان الشّاعر الأبيات ومنها:

أخـــــط بدمعي واليراع مبلل ... وقلبي على تلك الفجيعة مشـعل
وغـــــادرها النجم الذي تلألأ ... على أفق الإسلام والقول فيصـل
بكت كعبة الرحمن خادمها الذي ... يطهرها من كل لوث ويغســـل
طليعة هذا الدين صارت يتيمة ... فأسطولها سطح المحيط مضـلل
ترعـرع شبلا باسلا في عرينه ... ورعرعه الشهم الهمام المـبجّل
صهاينة الدّنيا تخـــاف زئيره ... وقالوا معاذ الله كيف التســـلل

شعره واتّجاهه الاسلامي

وبوسعنا أن نتابع الإتجاه الإسلامي في أغلب أشعاره، والذي أعنيه بالإتجاه الإسلامي في الشعر هو انطلاق الشاعر من تصوّر إسلامي في نظرته الى الكون والإنسان والمياه وفي نظرته الى القضايا والأحداث والأشخاص والمشكلات وفي تعبيره عن العواطف والمشاعر ويتّضح في شعر المولوي هذا الأثر إذ تشبع فيه الاقتباسات والتضمينات وغالبا ما تأتي على صورتها الأصلية دون تحدث تغييرا واضحا في فضاء النصّ القديم، وأحيانا تستدعي تراكيب تراثية بفعل القافية، تبلور قصيدته عواطف جيل كامل في صورها الرائعة ومن الطبيعي أن تتجلى شخصيّة الشاعر في قصائده لا سيّما القصائد التي تعبّر عن خلاصة تجربته في الحياة[1] حيث ينحو فيها منحا فنيّا يقترب من البناء الصّوفي، وله أشعار كثيرة التي تحرّض منتسبي الحركة للمواصلة بأنشطتها، هذا ويقول عن مؤسّس الجماعة الإسلاميّة:

ووَرائها السيّد أبو الأعلى من ... الشّهم الهمام الصّارم الصّمصام
عمّ البسـيطة فكره وعلومه ... قيـــــامه بالـــجهد أيّ قيـام

---

[1] ومن أبياته في هذا القبيل:

مضى عمري ولم يظفر بشيء ... سوى ما في النفوس من الأماني
ألا أبكي على ما ضاع عمري ... ولـو لـم يـبق لـي إلا ثوانـي
ألا لله قـــلبي إذ أتـــاني ... صدى ممّا تصرّم من زمـــاني

ويقول أيضا:

أعيش وهذه الأيـــام تبدي ... مخالبها إليّ مـع الـوعيد
أيا ليتي شهدت ونلت حظا ... **مع الشهداء في يوم الخلود**

وعندما فرضت الحكومة الحظر على نشاط الجماعة الإسلامية في الهند عام 1992م واعتقل عدد من زعماء الجماعة الإسلامية وكان الشاعر من روّاد العاملين في كيرلا، غير أنه لم يعتقل فخطرت بباله الأبيات ومنها:

ما لي أعيش ودعوتي إســـلام ... ما مسّـــــني أغلالها ولجام
ضاعت حياتي إن هلكت ولم أذق ... في دعــوتي ما توعــد الأيــام
مفتي المدينة مالك لــي قـــدوة ... إحـــدى يديه أبادهـــا ظلام
ســـيق الإمام الشافعي مغلــغلا ... يوما وعند الحـــــاكمين ملام
عجبا لأحمد كم عصا وقعت على ... الأعطاف تترى والقروح سجام
إنّ ابن تيمية توفـــي في الـــدّجى ... ســـــجنا وعمّ العالمين غشام

أدب التّضامن للمضطهدين والمنكوبين (قضية فلسطين وكشمير أنموذجين)

وقد أصدرت الجرائد والدوريّات الخليجية عددا لا بأس بها من أشعار الرّاحل، وأنه قرض كثيرا بصدد التّضامن للمجنبين والمشرّدين على الصعيد الوطني والعالمي، وكان يتعمّق في قضية كشمير حيث يقول في كشمير:

كشميرُ يا جنّة يهواكِ إنسانُ ... أنّى تَدَخّل في واديك شيطانُ
آه أراك جحيمـــا ذات وَلوَلة ... كلّ ابن آدم في مثواه نيرانُ

أن قضية فلسطين قضيّة عربيّة إسلامية محضة، هو موضوع تشغل بال العرب والمسلمين جميعا شعراء وغير شعراء، ولا يكاد الشّعراء الأجانب الجدد أن يخطوا خطوة في هذا المجال، ولكنه كان يتعمق في قضية فلسطين كل العمق، حتى عبّر القراء العرب أمارات الدهشة والعجب بأنه هل يوجد في الهند من يتناول هذه القضية بهذا العمق، وأن تحمسّه الإسلامي هو الذي جعل الشّاعر يعيش في لجّتها، وصيّرت أشعاره لضحايا التخاذل والتآمر أقوى وأظهر مما فيها التّجربة الذاتية للشّاعر، ويتناول الشّاعر بدقة تلك الوعود الجوفاء من قبل الأمريكان التي شبع منها شعب فلسطين، وأن درجة الحزن في شعره الفلسطيني قد ارتفعت كثيرا بحيث أصبحت توازي درجة الحزن واللّهفة في الغزل، ويقف الشاعر على حدود الأرض المحتلة... يرى مرابع بلادهم ينعم بها المغتصبون فتهيج الذّكريات، ويقول في قصيدة 'الصهيونية وفتنتها'

سطوا بالمسجد الأقصى وهذا ... هو البيت العتيق منى العداةِ
وهل للمســـجد النبوي خلاصٌ ... إذا لم يستفيقوا من ســباتِ
غوائل خدعة الصّهيون عمّت ... وفاضت كالسّيول الجارفاتِ

وهنا يقول عن 'الإنتفاضة الفلسطينية' بكلّ سخونتها ونبضها وروعتها:

براعم أخذوا أحجار أبرهة ... طيرا أبابيل للأعداء يرمونَا
تدفقوا من عرين بعدما فطموا ... وأمهات لهم أرضعن إيمانَا
عبد السّلام زهيد عندهنّ وكم ... خنساء ضحين بالأولاد شبانَا
ما كنت حابلة إيّاك يا ولدي ... إلا لكونك للإسلام معوانَا

ويقول في قصيدته 'الإنتفاضة الفلسطينية في عامها الثّالث':

روحي لديك وفي جوارك يا قدسُ ... والجسم عندي عن رحابك ناء
ماج الخيال ولا سكون لخاطري ... حتى أراك طليقة لأرجاء
طالعت تاريخ الدهور فلم أجدْ ... أنموذجا لك في الشقاء وبلاء

وكان له علاقة ودّية مع بعض الشعراء العرب الذين لهم سمعة طيبة على الصعيد العالمي، وهنا يذكر الشاعر أوقاته التي قضى مع الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في فندق 'بليما' في المغرب، والذي كان بطلا باسلا يجاهد في سبيل تحرير فلسطين بأشعاره الهيّاجة حيث يقول:

كم ذا يفجعني دهري بأحبابي ... يوما فيوما ويؤذيني بأضراب
يا كيف انسى 'بليما'[1] والقيام به ... يوما بصحبة أنصار وأصحاب
أبيكه ما عشت هل يجدي البكاء له ... والكل للموت من أغراض نشاب
من لي بردّ قضاء جاء يخطفه ... والقدس يبكي ويبكيه بمنصاب

وهل لك عن قوافي من سماع ؟

وقد طرق الشاعر معظم أبواب الشعر حتى الهجاء، وكان يهجو هجوا مرّا بأشعاره بعض الأشخاص والأيديولجيات والخرافات حسبما تقتضي الأحوال في مسيرته الثقافية والحركيّة، وهنا يهجو الشاعر على أرجوزة أنشأها بعض أهالي كيرلا ونشرها في منشورة تصدر من تركيا طعنا على الجماعة الإسلامية ومؤسسها السيّد أبو الأعلى المودودي وشيخ الإسلام ابن تيمية:

خبيث النفس لا تفخر بأني ... كتبت جواب هذيك باليراع
تعدك عالما وتقول وتفتي ... بتكفير الدعاة بلا دواعي
أبو الأعلى يوقره الزمان ... ويدعوه بداعية الدواعي
هو البحر المحيط وأنت تعسى ... تكدر ماءه بقضيب راع
بنطح الوعل ما انهدّت صخور ... ولا القصر المنيف على اليفاع

---

[1] فندق في الرّباط (المغرب)

أتحسب أن ماء النهر يلظى برميك فيه شيئا ذا التماع
كتبت بكفك الذلى سطورا تراها عند ربك كالأفاعي
طعنت وقلت هذيانا وجهلا بعدت عن الهوى آلاف باع
تقدمت القوافل حين يعوي كلاب الحيّ ترتاد المراعي
أتدري أي شيء ذاك شعر وهل لك عن قوافي من سماع
أيا ليتي علمت بأن شعري يفيدك أم يكون من المضاع

ومن المشكلات البارزة التي تواجه باحث أشعار محي الدين المولوي أن معظم أشعاره ما زالت مخطوطة، وبعضها عند الأشخاص ولم يدفع بها الى المطبعة حتى الآن، وهنا بشرى سارّة لكلّ من يبحث عن الشّعر العربي في كيرلا بأن جمعية الطلبة القدّامى للكلّية الإسلامية بكوتيادي في صدد نشر ديوان محي الدّين المولوي، وأظن أنه ستكون هناك دراسات أوسع بعدها، والله المستعان.

المراجع

1. Collected poems of Moidu Moulavi at Islamiya College Kuttiadi, which is going to be published as an Anthology of Poems of Moidu Moulavi by Alumni Association of Islamiya College Kuttiadi at Qatar.
2. K, Moidu Moulavi,*Ormakkurippukal*, Islamic Publishing House - Calicut, 1998.
3. Shaikh Mohamed Karakkunnu, *Islamika Prasthanam munbe nadannavar*, IPH Calicut,2010
4. IPH. Islamic Encyclopedia, Ed.2000, Volume:2, Article, *Arabic Poetry in Kerala.*
5. Kamala Surayya, *Ya Allah*, translated to Arabic by K, Moidu Moulavi, IPH, Calicut, 2003.
6. الدّكتور ويران محي الدين الفاروقي،(2003)،الشّعر العربي فى كيرلا: مبدؤه وتطوّره، عربنت، كاليكوت، ص:272
7. Prabodhanam Weekly, Four Volumes of April 2005.
8. Conversation with Basheer Muhyuedheen s/o late K. Moidu moulavi.
9. Interview with Saleem Moulavi - Morayur.